

(٨) النكاح الصحى فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم »

سورة البقرة ٢٢٣

النكاح الصحي في الإسلام :

في مطلع هذا الكتاب بينا كيف اهتم الإسلام بتثقيف أبنائه ثقافة جنسية سليمة وكاملة . ثم تناولنا القواعد العامة التي وضعها الإسلام لاختيار الزوجة وبناء الأسرة . وهنا نبث كيف وضع الإسلام للعلاقة الجنسية منهجاً ونظماً دقيقاً يسبق به أحدث النظريات والدراسات العلمية في القرن العشرين .

ولاشك أن اهتمام الإسلام بالعلاقة الجنسية يرجع إلى دورها الخطير في استقرار الأسرة وسعادتها وفي تجنبها المشاكل والعقد والأمراض إذا أحسن استخدامها . . وهذه هي بعض تعاليم الإسلام في هذا الباب :

١ - فالمذاهب السابقة للإسلام كانت تنظر إلى هذه العلاقة على أنها نجس وخبث وشر لا بد منه مهما كانت في الحلال . فجاء الإسلام بعكس ذلك ورفع من شأن العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته واعتبرها حسنة تكتب له في الآخرة وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« ما من رجل يأخذ بيد زوجته يراودها إلا كتب الله تعالى له حسنة فإن عاتقها فعشر حسنة فإن أتاها كان خيراً من الدنيا وما فيها » .

وسمع رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« وفي بضع أحدكم صدقة » فقال يا رسول الله يأتي
أحدنا ثم هوته ثم تكون له صدقة « قال الرسول نعم : أرأيتم
لو وضعها في حرام لكان عليه بها وزر . فكذلك إذا وضعها
في الحلال كان له أجر » .

(رواه مسلم والنسائي)

٢ - ومن أول تعاليم الإسلام في هذا المجال مراعاة
الحبة والوفاق العاطفي بين الشريكين كشرط لإقامة علاقة
جنسية سليمة ودائمة . . فبغير هذا التعاطف والمحبة تنقلب
نعمة الجنس إلى نقمة . . وقد استنكر رسول الله على الذي
يسمى معاملة زوجته ثم بعد ذلك يدعوها إلى فراشه فيقول :
« يظل أحدكم يضرب زوجته ضرب العبيد ثم يدعوها
إلى فراشه فيقبلها ويعانقها ولا يستحي »

(أخرجه ابن ماجه)

٣ - ويأمر الإسلام الرجل أن يتجمل لزوجته كما يحب
منها أن تتجمل له . . وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله
عليه وسلم) .

- « اغسلوا ثيابكم . وخذوا من شعوركم واستاكوا ،
وتنظفوا فإن بني اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت
نساؤهم » .

ومن أقوال فقهاء المسلمين في ذلك .

« هيئة الرجل للمرأة مما يزيد في عفتها » وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب التجميل في منظره وملبسه في غير خيلاء ولا اسراف .

— ويوصى أصحابه بقوله : « احسنوا ركابكم حتى تكونوا شامة في الناس » .

وروى عن الخليفة عمر بن الخطاب أن امرأة جاءت إليه تطلب الطلاق من زوجها . . فنظر إليه فإذا هو أشعث أغبر فأرسله ليستحم ويأخذ من شعره وأظافره . . ويصلح من شأنه . . فلما عاد أنكرته أولاً ولما عرفته قبلت به وعادت معه إلى بيتها . . فقال عمر رضى الله عنه « هكذا فاصنعوا لمن والله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهم كما تحبون أن يتزين لكم » .

ومن السنة أن الرجل إذا عاد من سفره أن يصلح من شأنه وزينته قبل الدخول على أهله . . وكان الرسول إذا عاد من غزوه أو سرية يعسكر بالجيش خارج المدينة بعض يوم يغتسلون ويتمشطون قبل الدخول على أهلهم . . وكان يقول لأصحابه :

« تمهلوا حتى تتمشط الشعثة » .

أى انتظروا وأعطوا النساء الوقت ليتزين لكم . .

(م ٧ — الإسلام والجنس)

٤ - وفي نفس الوقت فإن الإسلام يوصي الرجل المسلم بالاهتمام بزينة زوجته ومظهرها وأن يأتي لها بخير ما يستطيع من الملبس حتى تبدو جميلة في عينه فلا ينصرف عنها إلى غيرها ، وقد روت السيدة عائشة عن رسول الله قوله :

« النساء لعب الرجال فليزين الرجل لعبته ما استطاع فإن ذلك ادعى لشهوته وأملؤ لعينه » .

٥ - وحرصاً من الإسلام على بقاء الجاذبية بين الرجل والمرأة فقد نهى كلا من الجنسين عن التشبه بالجنس الآخر سواء في ملبسه أو في أخلاقه وتصرفاته . . وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم .

« لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » .

رواه البخاري

والقصد من ذلك أن تظل لكل من الجنسين شخصيته المستقلة وجاذبيته نحو الجنس الآخر . . هذا علاوة على مكافحة التخنث واللواطه في الرجال ومكافحة الاسترجال في النساء .

٥ - ومعظم كتب التربية الجنسية الحديثة تنهى أن يباشر الرجل زوجته دون أن سبق ذلك ملاطفة عاطفية وتمهيد جنسى . . وتقرر أن الكثير من الزوجات تصاب بالبرود الجنسي والأمراض النفسية والعصية لأن الزوج لا يفهم هذه الحقيقة أو يعطيها حقها . وقد سبق الإسلام إلى تقرير هذه القاعدة العلمية .

فالإسلام يعتبر الرجل الذى يغفل هذه الحقيقة كأنه بهيمة لا يحس ولا يدرك مشاعر غيره وفى هذا يقول رسول الله :
« لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقعن البهيمة وليكن بينهما رسول » .

قيل وما الرسول يا رسول الله . قال (القبله والكلام) .

وعن جابر « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المواقعة قبل المداعبة » ولم يكن رسول الله يقصر ملاطفته لزوجاته قبل المباشرة فحسب . ولكنه كان دائم الملاطفة والملاعبة لهن فى كل وقت حتى وهو ذاهب إلى الصلاة وكان يقبلهن ويداعبن وهو صائم وفى ذلك تقول السيدة عائشة .

- كان رسول الله ينال منى القبله بعد الوضوء ثم لا يعيد وضوءه .

٦ - وتذكر كتب التربية الجنسية أن الزوجين عليهما

أن ينوعا من الأوضاع الجنسية حتى تأخذ العملية الجنسية طابع التغيير والتجديد وحتى لا يمل أحد الزوجين من الآخر . وقد جاء بعض الصحابة يسألون رسول الله في الأوضاع المختلفة التي تتبعها الشعوب الأخرى كاليهود والفرس فنزلت آيات القرآن تبيح لهم اختيار الوضع الذي يشاءونه بغير قيود أو حدود فيقول تعالى :

- « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » .

٧ - ويفضل الصراحة والروح العلمية التي واجه بها الإسلام المسائل الجنسية فقد كان الصحابة يأتون إلى رسول الله يسألونه في أخرج أمور الجنس وهو يجيبهم بغير استنكار ولا استخفاف . . فكانوا يسألونه عن تقبيل الفرج وعن الاستمتاع بالنظر إليه .

عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله انى لأحب أن أنظر إلى عورة امرأتى ولا ترى ذلك منى (أى أحب أن أنظر إليها ولا تنظر إلى) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولم ذلك . . ان الله جعلك لباساً لها وجعلها لباساً لك . . وأنا أرى ذلك من أهلى ويروونه منى (المطالب العالية ج ٢ ص ٢٩) .

رواه الطبرانى والترمذى .

٨ - ويحرم الإسلام الشذوذ الجنسي مع المرأة أى اتيانها فى الدبر بل تؤتى فى المكان الطبيعى الذى جعله الله للنسل والتناسل وفى هذا تقول الآية « فأتوهن من حيث أمركم الله » ويقول الرسول : استحيوا من الله ولا تأتوا النساء فى أدبارهن » (رواه ابن ماجه والترمذى) ولا يقتصر ضرر هذا الشذوذ على منع النسل فحسب به إنه يشمل جميع الأضرار التى من أجلها حرمت اللواطه فى الطب والعرف والدين وعلى الأذى النفسى للمرأة فإنه يحدث تشققاً فى الشرج والتهابات شديدة . . أما الرجل فقد يصاب فى مجرى البول بالتهابات وغالباً يصعد الميكروب إلى البروستاتا وقد يسبب له العقم وذلك لأن الشرج مليء بالميكروبات التى لا يوجد مثلها فى باب الرحم (المهبل) كما وأن الرجل قد يأخذ هذه الميكروبات لكى ينقلها بدوره إلى رحم المرأة وقد يصيبها هى بالعقم .

٩ - ويأمر الإسلام الرجل أن يتلطف بالزوجة أثناء المجامعة وأن يعمل على اشباعها جنسياً . . وأن يجتهد ألا يقضى حاجته قبل حاجتها وإذا سبقها فليحاول الصبر حتى تأخذ دورها . . وفى هذا يقول الرسول :

« إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها . . ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها » .
(رواه أنس بن مالك - المطالب العالیه ج ٢ ص ٣٠) :

١٠ - ويحرم الإسلام على الزوجة تحريماً قاطعاً أن تماطل زوجها أو أن تهرب منه بأى عذر غير شرعى إذا دعاها إلى فراشه . . وذلك لأن حرمان الزوج من الحياة الجنسية المنتظمة لا بد أن يدفعه دفعاً إلى الكبت أو الشعور بالحرمان وقد يدفعه ذلك إلى الزنا والتطلع إلى سواها فالزوجة فى هذه الأحوال مسئولة عن انحراف زوجها

وسوف نأتى إلى تفصيل لتعاليم الإسلام فى هذه القضية فى باب البرود الجنسي عند المرأة المسلمة . .

١ - وكما أمر الإسلام الزوجة أن لا تماطل زوجها . . أو تهجر فراشه فقد أمر الزوج أيضاً أن لا يهجر فراش زوجته ما لم يكن هذا الهجر عقاباً مقصوداً ولفترة محدودة . . وفيما عدا ذلك فلا يحق له هجرانها بحجة الانشغال بأمور الدنيا وبأمور الدين . . فإن ذلك يدفع المرأة إلى اهمال نفسها وحياتها وقد يدفعها إلى الانحراف إن كانت صغيرة السن

انظر إلى هذه القصة الرائعة وحكم الإسلام دين الفطرة

فيها :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « جاء رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها (أى عدوها قليلة) فقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من

ذنبه وما تأخر وقال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا . .
وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا . وقال آخر وأنا
أعزل النساء فلا أتزوج أبدا . . فجاء رسول الله إليهم وقال .
« أنتم الذين تقولون كذا وكذا . . ؟ أما والله اني لأخشاكم
لله وأتقاكم لكني أصوم . . وأفطر . وأصلي وأرقد وأتزوج
النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » . (رواه البخاري
ومسلم) •

وعن عائشة أن (الحولاء) زوجة الصحابي عثمان بن
مظعون جاءت تزورها وقد تغيرت أحوالها فقالت لها عائشة . :
« مالك يا حولاء متغيرة اللون لا تمشطين ولا تنظفين » . .
فقالت الحولاء : وكيف أتطيب وأتمشط وما وقع على
زوجي ولا رفع غني ثوباً منذ أمد بعيد » فتضاحك نساء
النبي من كلامها . . فلما عاد رسول الله قالت عائشة :

يا رسول الله سألت الحولاء عن أمرها فقالت ما رفع
غني زوجي ثوباً منذ مدة . . فغضب رسول الله من ذلك
وأرسل إليه وقال له : ما بالك يا عثمان . . قال عثمان : إني
تركته كي أتخلى للعبادة حتى فكرت في أن أتبتل ما بقي من
عمري ولو أذنت لي يا رسول الله لاختصيت . . ؟ قال الرسول :
أقسمت عليك ألا رجعت فوافقت أهلك . .

قال : يا رسول الله اني صائم . .

قال : إذا أفطر . . ؟

فقام عثمان طائعاً وأتى أهله ثم وقف رسول الله وخطب في الناس في مسجده قائلاً :

« مabal أقوام حرموا النساء والطعام والنوم . . إني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء فمن رغب عن سنني فليس مني » . (متفق عليه) ٥

وفي اليوم التالي رجعت الحولاء إلى عائشة وقد اغتسلت وامتشطت وتطيبت فضحكت عائشة وقالت : مabalك ياحولاء .

فقلت : ان زوجي عثمان أتانى بالأمس . . .

وهذا مثل حي على حكمة الإسلام وواقعته في المسائل الجنسية وما يعطيها من اهتمام وتقييم .

ويرى فقهاء الإسلام أن الرجل لا يجب أن يغيب عن زوجته فوق أربعة أشهر وهذه القصة تبين لنا العقلية المتفتحة التي ينظر بها المشرعون المسلمون إلى مسألة الجنس : فبينما كان الخليفة عمر بن الخطاب يمر في إحدى جولاته بالليل إذ سمع امرأة تنشد قائلة : —

تطاول هذا الليل وازور جانبه

وليس إلى جنبي خليل أداعبه

فوالله لولا الله لارب غيره

لزلزل من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياة تكفى

وأكرم زوجي أن تنال ركائبه

وذهب عمر يسأل عن شأنها وقد همه أمرها . . فلم أن
زوجها غائب مع جنود المسلمين في الحرب . . فذهب
عمر إلى ابنته حفصة يسألها :

يا حفصة كم تصبر الزوجة على بعد زوجها . .

فخجلت ولم ترد . . فقال عمر :

- يا بني . . أجبي وانقذى أباك من عذاب أليم . .

ف قالت « تصبر شهرين يا أمير المؤمنين . وتجالد نفسها
بعد الثالث وتفقد صبرها بعد الشهر الرابع . .

فجمع عمر الصحابة وتشاوروا وأصدروا قراراً أن
لا يغيب محارب عن أهله أكثر من أربعة أشهر . . فانظر
كيف كان لتعاليم الإسلام والصراحة التي واجه بها مسائل
الجنس المعقدة الأثر في هذه الحلول المتفتحة للمشاكل وانظر
إلى حكمة عمر في أنه لم يسأل زوجته في هذا الشأن بل ذهب
إلى ابنته الشابة الحديثة العهد بالزواج لكي يسألها . .

- ومن تعاليم الإسلام إلى الرجل المسلم أنه إذا رأى امرأة
ووقع في نفسه الإعجاب بها والرغبة بها فعليه أن يذهب
إلى امرأته فيواقعها فإن ذلك يصرف عنه التعلق بالأخرى
وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إذا أحدكم
أعجبه المرأة فوقع في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها
فإن ذلك يرد ما في نفسه » . (رواه مسلم)

وفى هذا ما يبين لنا مدى واقية الإسلام فى معالجته
لمشاكل الجنس .

(٩) العادة السرية فى رأى الدين والعلم :

لابد لنا هنا من وقفة صريحة فى قضية العادة السرية
حيث اختلفت فيها الآراء إلى الحد الذى يحدث البلبلة
والاضطراب النفسى والذهنى لدى المراهقين والشباب ..

فبعض المربين والآباء إذا سئلوا من قبل المراهق يقولون
أنها شديدة الضرر بالصحة وتؤدى إلى الجنون وفقدان الحيوية
وضعف النظر والارتخاء الجسمى .

وبعضهم يبالغ فى العكس فهون الأمر ويجعله فى صورة
مرغوبة ومحبية وكل الاتجاهين غير سليم وضار ..

ومن هنا كان الواجب على الآباء والمربين معرفة رأى
الدين والعلم فى هذا المجال حتى لا يخرجوا عنه ..

أما رأى الدين : فإن العادة السرية لم يرد شئ عنها
فى القرآن الكريم وكذلك لم يرد عنها شئ فى الحديث النبوى :
والله تعالى يقول فى سورة الأنعام « وقد فصل لكم ما حرم
عليكم » فالحرام هو ما حرم فى الكتاب والسنة وحدوده
واضحة ومعروفة ولا ينبغى الزيادة عليها اجتهاداً من البشر
والملاحظ أن بعض الناس يلجأ إلى الأحاديث الموضوعة

أو المكذوبة في هذا المجال لتأييد رأيه . . ومن ذلك قولهم
« ناكح يده ملعون ويأتى يوم القيامة ويده حبل » . . . وهو
كلام موضوع ولا يوجد في أى مرجع صحيح من مراجع
الحديث . .

والخلاصة . . أنه لا يوجد في القرآن والسنة ذكر للعادة
السرية لا بالتحريم أو بالإباحة .

أما رأى العلم : فتقرر الأبحاث الطبية أن العادة
السرية منتشرة في أنحاء العالم بين أكثر من ٩٠٪ من الذكور
و ٦٠٪ من الإناث . .

وأنها تحدث ابتداء من مرحلة المراهقة حتى سن الزواج .
الرأى الطبى أنها ليست ضارة إذا حدثت بصورة معتدلة
ودون أن يسبقها تهيج جنسى مفتعل وهى بذلك تصبح
نوعاً من تفريغ الشحنة الجنسية وإراحة الأعصاب من التوتر
وهى بلا شك أهون من أضرار الزنى . .

أما أضرارها فتنحصر فى الآتى : -

- ١ - المبالغة والإكثار دون مبرر .
- ٢ - افتعال التهيج الجنسى عن طريق غير طبيعى كالصور
والمشاهد الجنسية .
- ٣ - الشعور بالذنب وتأنيب الضمير الذى ينجم عن سوء
التوجيه والإرهاب المبالغ فيه .